القريـــة في المـثل القرآنـــي

بحث في دور الكلمة، آيتي سورة النحل نموذجًا

د. مصطفى أحمد قنبر
وزارة التعليم والتعليم العالي
قطر

الملخص:

للأمثال مكانتها في القرآن الكريم، ففضلا عن كثرتها وتنوعها، فإنها تزخر بعالم فريد من الحكمة والموعظة، تتخطى بالقارئ والمتدبر لها حدود الزمان والمكان.وموضوع هذا البحث يعرض لدور الكلمة في المثل القرآني التي كانت القرية موضوعه، وذلك من خلال ما عرض له السادة المفسرون من علة انتقاء الألفاظ وموقعيتها داخل تراكيب الآيات، وما كان له من أثر في صياغة المعنى العام، فضلا عن الاجتهاد في استجلاء بعض الدلالات التي سكت عنها المفسرون.

Abstract ;

Proverbs have their status in the Holy Quran. As well as their diversity and frequency, It is filled with a unique world of Admonition and Wisdom. It is surpassed with the reader and the reflecter The limits of time and place.

The subject of this research Show of Role of the word in the Proverbs in the Holy Quran which the village was centered on. Through what the Interpreters Show in the Reason for selection of the words and its place in the expressions, and its Effect In The formation of general meaning.

As well as exert my utmost in explore the meanings which were silent by the Interpreters.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، من نُزِّل القرآن على قلبه ليكون للعالمين نذيرًا، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد،

فلا يزال القرآن الكريم كتاب الله المعجز المَعين الذي لا ينضب، والمادة الخصبة الثرية للبحث والدرس، يقبل عليه الباحثون؛ سبرًا لمكنونات أسراره، وكشفًا لمقاصده الشريفة، وطرقه العجيبة في التعبير والبيان؛ وذلك من تطبيقات قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ص: ٢٩

وللأمثال مكانتها في كتاب الله عز وجل ففضلا عن كثرتها وتنوعها، فإنها تزخر بعالم فريد من الحكمة والموعظة، والدليل الحسي والبرهان العقلي، كما أنها تتخطى بالقارئ لها و المتدبر لها حدود الزمان والمكان؛[1] ليعيش في عالم هذا المثل بكل مكوناته وآفاقه وتجلياته؛ ولذا وجَّه العليم الخبير منزل هذا الكتاب ـ إلى تأمل الأمثال والتفكر فيها، فقال: ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم:25، وقال أيضا :﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: 21، وأثنى تعالت حكمته على من يعقلها فقال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: 43.

وكان للقرية حضورها المكاني والزماني في المثل القرآني، الأمر الذي استرعى انتباه الباحث، خاصة ما لوحظ من تركيز في العرض، وتعدد في المعاني، واتساع في دوائر الدلالات. وقد لعبت الكلمة أو المفردة دورًا أساسيًا في هذا المثل من جهتين: الأولى: دقة الانتقاء، والثانية: موقعية الكلمة داخل التركيب. كان ذلك في سورة النحل الآيات (112ـ 113).

(1) سميح عاطف الزين: الأمثال في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني/دار الكتاب المصري، بيروت/ القاهرة، ط 2(1421. 2000)، ص 33،34.

من أجل هذا جاء موضوع البحث الذي وسمته بعنوان: (القرية في المثل القرآني بحث في دور الكلمة، آيتي سورة النحل نموذجًا)؛ آملا أن يضيف شيئًا إلى مكتبة الدراسات اللغوية القرآنية.

أهداف البحث وأهميته: تأتي أهمية هذا البحث من خلال بيان الأهداف التي قصدها الباحث، والتي تتمثل في:

1ـ عرض النَّظَرَات اللغوية للمفسرين القدماء والمحدثين في آيات المثل، خاصة دور الكلمة انتقاءً وموقعيةً.

2ـ الكشف عن دور الكلمة القرآنية الدلالي في المثل فيما سكت عنه المفسرون.

3ـ استجلاء المعاني الكامنة في آيات المثل من خلال النظر اللغوي.

منهج البحث: التزم الباحث لإنجاز أهدافه بالمنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث بوصف وتحليل المفردة القرآنية داخل تراكيب المثل، كما حاول استنباط الدلالات اللغوية للمفردات ومن ثم للتراكيب، وذلك بعد أن أفرغ جهده في الوقوف عند مجهودات السادة المفسرين والتعليق على بعضها.

خطة البحث: اشتمل هذا البحث على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة جاءت بالعناوين الآتية:

المقدمــة: تعريف بموضوع البحث، وأهدافه، والمنهج العلمي الذي سار عليه، وخطته.

المبحث الأول: بين يدي المثل.

المبحث الثاني: دور المفردة في إبراز جماليات القرية الطائعة.

المبحث الثالث: التوظيف القرآني للمفردة في تجسيد مشاهد العقاب الإلهي.

المبحث الرابع: مظاهر التحول والتمرد في القرية كما عبرت عنها المفردة.

الخاتــمة: عرض أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: بين يديَّ المثل: يعالج هذا المبحث دور الكلمة أو المفردة في آيتي سورة النحل التي جاء فيها الحديث عن القرية موضوع المثل، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ النحل: ١١٢ ـ 113

بدأت الآية الكريمة بالفعل (ضَرَبَ)، وهو فعل ملازم للمثل عند ذكره، أو التمثيل به، أو إنزاله على الواقع المشابه للاعتبار.[1] و قد ورد في القرآن الكريم ـ إلى جانب صيغة الماضي ـ بصيغتي المضارع، والأمر.[2]

وقد تباينت التفاسير في تناولها لهذه المفردة: فمنهم من عرض لمعناها، ومنهم من ذكرها دون الوقوف على معناها؛ ربما لوضوح المقصود بها. فعند مقاتل و السمرقندي ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا يعني وصف الله شبها.[3] وعند الطبري بمعنى مثَّل،[4] وقد

([1]) انظر: ابن منظور(محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ت711ه): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3 (1414 ه) مادة ض ر ب.

(2) انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامة لمطابع الشؤون الأميرية، القاهرة (1989/1409)، ج1، ص962وما بعدها. و محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية / دار الحديث ، القاهرة(1945) ص418،419.

(3) مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ت 150ه): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، (1423 ه) ج2،ص490. والسمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت. 373ه): بحر العلوم، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1413ه/1993م)، ج2، ص294.

(4) الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت 310ه): جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،(1420 ه ـ2000 م) ج 17، ص309.

وقف الرازي عند عدة معان للكلمة، فقال: "مَا مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ ضَرَبَ مَثَلًا؟ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَاضْرِبْ، مَعَ أَنَّ الضَّرْبَ فِي اللُّغَةِ، إِمَّا إِمْسَاسُ جِسْمٍ جِسْمًا بِعُنْفٍ، وَإِمَّا السَّيْرُ إِذَا قُرِنَ بِهِ حَرْفُ فِي كقوله تعالى: (إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) [النِّسَاءِ]101. نَقُولُ: قَوْلُهُ ضَرَبَ مَثَلًا مَعْنَاهُ مَثَّلَ مَثَلًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الضَّرْبَ اسْمٌ لِلنَّوْعِ، يُقَالُ: هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنْ ضَرْبٍ وَاحِدٍ أَيِ اجْعَلْ هَذَا وَذَاكَ مِنْ ضَرْبٍ وَاحِدٍ."[1]

وعند البيضاوي أنَّ ضرب بمعنى جعل،[2] وهناك من أشار إلى أن هذا الفعل ضمن معنى جعل[3]، وهو ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور عندما قال: ضَرَبَ: بِمَعْنَى جَعَلَ، أَيْ جَعَلَ الْمُرَكَّبَ الدَّالَّ عَلَيْهِ وكوّن نَظْمِهِ، وَأَوْحَى بِهِ إِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا يُقَالُ: أَرْسَلَ فُلَانٌ مَثَلًا قَوْلُهُ: كَيْتٌ وَكَيْتٌ.[4] وقال الشيخ أبو زهرة: (وَضَرَبَ)، أي بيَّن.[5] وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: ضرب الله مثلا: أورده.[6] ولا خلاف يستحق التعليق بين هذه المعاني, وإن كان المعنى المستفاد من الكلمة لا يحتاج إلى كل هذا الجهد.

ولم يقف العلامة ابن عاشور عند معني الفعل فقط، وإنما تناول بالتحليل البعد الزمني للفعل (ضَرَبَ) كونه ماضيًا يحمل دلالة الحاضر حال تنزل الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "وَالتَّعْبِيرُ عَنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ الْوَاقِعِ فِي حَالِ نُزُولِ الْآيَةِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِلتَّشْوِيقِ إِلَى الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مِن اسْتِعْمَالِ الْمَاضِي فِي الْحَالِ لِتَحْقِيقِ وُقُوعِهِ، مَثْلُ أَتى أَمْرُ اللَّهِ [سُورَة النَّحْل: 1] أَوْ لِتَقْرِيبِ زَمَنِ الْمَاضِي مِنْ زَمَنِ الْحَالِ، مِثْلَ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرَبَ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى الطَّلَبِ وَالْأَمْرِ، أَيِ اضْرِبْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ مَثَلًا قَرْيَةً إِلَى آخِرِهِ."[7]

وقد ربط الشيخ بين إسناد الفعل إلى الله جلَّ وعلا وبين علة مجيئة في صيغة الخبر نافيًا الجواز الذي أشار إليه في السطور السابقة قائلا: " وَإِنَّمَا صِيغَ فِي صِيغَةِ الْخَبَرِ تَوَسُّلًا إِلَى إِسْنَادِهِ إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَنْوِيهًا بِهِ. وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا صِيغَ بِصِيغَةِ الطَّلَبِ نَحْوُ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ [سُورَة يس: 13] بِمَا سَيُذْكَرُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ."[8]

وقد جاء مفعول الضرب نكرة لإفادة التشويق وجذبًا للمتلقي للتعرف على كنه هذا المثل وتعيينه، ومما يقوي هذه الدلالة ما سبق الإشارة إليه من علة إسناد ضرب المثل إلى الذات العلية. والتركيب كله بمفرداته الثلاث يؤشر إلى أهمية وضرورة ما سيأتي للمتلقين في كل زمان ومكان.

وما إن قرعت الأسماع هذه الجملة المحْكَمة حتى تلقتها الأفهام بكل يقظة ووعي وتنبهت لما سيُلقى عليها بعد هذه الجملة؛ امتثالا لقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣. ذلك أن لسرد الأمثال في العقل الجمعي البشري مكانته من حيث إنه يطرح تجربة واقعية تزخر بمظان كثيرة للموعظة والاعتبار،

---

(1) الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت 606ه)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3(1420 ه)، ج26،ص259.

(2) البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 685ه): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي /بيروت، ط1 (1418 ه) ، ج3، ص243.

(3) صديق القِنَّوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ت 1307ه): فتحُ البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشر، صَيدَا / بَيروت (1412 ه - 1992 م) ،ج 7، ص324. و القاسمي(محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت1332ه): محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (1418ه)، ج6،ص 415.

(4) الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت. 1393ه): التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 ه)، ج14، ص304

(5) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،ج8، ص4284.

(6) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامة لمطابع الشؤون الأميرية، القاهرة (1989/1409) ،ج 1، ص962.

(7) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص304

(8) المرجع السابق، نفس الصفحة.

هذا مع كون الضارب لهذه الأمثال بشر يخطئ ويصيب فما بالنا إن كان ضارب المثل هو الله الحكيم الخبير؟﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور:35. فما عساه أن يكون المثل هنا؟ وما الدلالات التي تحملها مفرداته للمتلقين؟

إن هذا المثل لقرية جُلِّيت للمتلقي في خطاب العليم الخبير جلَّ وعلا بصفات ثلاث: (ءَامِنَةً)، (مُّطْمَئِنَّةً)، (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ). وقد وقف صاحب (فتح القدير) عند تنكير كلمة ﴿ قَرْيَةً﴾ وعلاقة هذا التنكير بالقرية المعنية في هذا المثل، فقال: "وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هَلِ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْقَرْيَةِ قَرْيَةٌ مُعَيَّنَةٌ، أَوِ الْمُرَادُ قَرْيَةٌ غَيْرُ مُعَيَّنَةٍ، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ؟ فَذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى الْأَوَّلِ وَصَرَّحُوا بِأَنَّهَا مَكَّةُ، وَذَلِكَ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ» ، فَابْتُلُوا بِالْقَحْطِ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ. وَالثَّانِي أَرْجَحُ لِأَنَّ تَنْكِيرَ قَرْيَةٍ يُفِيدُ ذَلِكَ." [1]

وأرى إضافة إلى ما ذكره الشوكاني، أن تحديد اسم القرية ليس من الأهمية بمكان هنا إذا ما قُورن بما سيأتي من محددات لمعالم هذه القرية, وهي التي يلزم أن تنصرف لها الأنظار مدارسة وتفكرًا. وعلى الرغم من ذلك فقد شُغل المفسرون بتحديد هذا الاسم، فمنهم من قال إن القرية المقصودة في المثل هي مكة،[2] ومنهم مَن يرى أنها بلدة غير محددة: من قرى الأولين، أو من قرى الماضين، أو غير مكة، أو قرية غير معينة، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ.[3] ومن المفسرين من عرض للرأيين السابقين، ونقل رأيًا ثالثًا مفاده أن القرية المقصودة هي المدينة.[4]

المبحث الثاني: دور المفردة في إبراز جماليات القرية الطائعة: أغنى الوصفُ الذي تلا قريةَ المثلِ المخاطبين عن البحث في ماهية القرية المقصودة في المثل، ذلك أن الصفات الثلاث قدمت وصفًا كاملا لتلك القرية في جميع مظاهر الحياة نستطيع أن نرى فيها الجوانب: العسكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وتلك لعمرى مظاهر المثالية في أي مجتمع.

---

(1)الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت 1250ه): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق/بيروت، ط 1، (1414 ه) ، ج3، ص238.

(2) انظر: مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان، ج2، ص 490. و الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج 17، ص309. والسمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص294. و الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، ت. 427ه): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1422ه/2002 م)، ج6، ص48. و البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ت 510ه): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1 (1420ه). ج3، ص100.

(3) ينظر في ذلك: الشوكاني: فتح القدير، ج3، ص238. والزمخشري جار الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت. 538ه): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3 (1407 ه).ج2، ص638. و النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت710ه): تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1(1419 ه - 1998م)، ج2، ص237. و البقاعي: البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت. 885ه): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج11،ص 264.

([4]) انظر: ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت 542ه): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد،

دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 (1422 ه)، ج 3، ص426. والقرطبي : تفسير القرطبي، ج 10، ص194. و الثعلبي(أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427ه)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء= =التراث العربي، بيروت ط1، (1422، ه - 2002 م) ج 6، ص48. و أبو حيان(أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ،ت 745ه): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ج6،ص603.

وقد تقدَّم الصفات الثلاث لهذه القرية الفعل الناسخ (كَانَتْ) وتلك مفردة " الأصل فيها أن تدل على حصول ما دخلت عليه فيما مضى مع انقطاعه عند قوم وعليه الأكثر كما قال أبو حيان، أو سكوتها عن الانقطاع وعدمه عند آخرين."[1]

ويفهم من قول السيوطي أن المظاهر التي اتسمت بها هذه القرية استمرت فترة في الماضي ليست بالقصيرة، ويعضد هذا الفهم الأخبار الثلاثة التي جاء ثنتان منها على صيغة الوصف المشتق، وجاء الثالث في جملة فعلية فعلها مضارع: **ءَامِنَةً، مُّطْمَئِنَّةً، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ**.

ووصف القرية بأنها (ءَامِنَةً)يدل على شيوع نعمة الأمن بين ربوعها حتى إنها صارت صفة للمكان إذ يشعر بهذه النعمة كل من يدخلها ويقيم فيها ولو كان من غير أهلها.

قال العلامة الرازي:" كَوْنُهَا آمِنَةً أَيْ ذَاتَ أَمْنٍ لَا يُغَارُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ [الْعَنْكَبُوتِ: 67] وَالْأَمْرُ فِي مَكَّةَ كَانَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ، وَالْعَرَبُ كَانُوا يَحْتَرِمُونَهُمْ وَيَخُصُّونَهُمْ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ."[2] ويفهم من الصيغة الصرفية التي جاءت عليها هذه المفردة الشريفة وهي اسم الفاعل، إفادة الكثرة والتكرار: "قال الشاطبي في شرح الألفية: اسم الفاعل دال على الفعل، كثيرًا كان أو قليلًا: فيقال "فاعل" لمن تكرر منه الفعل وكثر، ولمن وقع منه فعل ما ... فإذا أرادوا أن يشعروا بالكثرة وضعوا لها مثالا دالًّا عليها؛ مثل: فَعُول" [3]

وعن وصف القرية بالأمن مع كون المقصود به أهلها يقول الرازي: "اعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ وَصْفُ الْقَرْيَةِ بِالْأَمْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِأَهْلِهَا لِأَجْلِ أَنَّهَا مَكَانُ الْأَمْنِ وَظَرْفٌ لَهُ، وَالظُّرُوفُ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ تُوصَفُ بِمَا حَلَّهَا، كَمَا يُقَالُ: طَيِّبٌ وَحَارٌّ وَبَارِدٌ."[4]

وقد تقدمت هذه السمة ما جاء بعدها من صفات لدورها المحوري في تحديد معالم القرية وتأثيرها في الصفات الأخرى؛ لأنه بانعدام الأمن لا وجود للطمأنينة، ولا دوران لعجلة الحياة الاقتصادية، بل ولتعقدت كل سبل الإعاشة في المجتمع.

وتأتي السمة الثانية لهذه القرية (مُّطْمَئِنَّةً)، وهي صفة مترتبة على الصفة الأولى، فلا يكون اطمئنان في انعدام أمن،[5] وهي اسم فاعل من الفعل اطمأنَّ تحمل دلالة الكثرة والتكرار في الحدوث. فلم يكن هذا الاطمئنان أمرًا عارضًا أو وقتيًا، وقد التفت إلى ذلك العلامة البغوي فقال: "مُطْمَئِنَّةً، قَارَّةً بِأَهْلِهَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِانْتِقَالِ لِلِانْتِجَاعِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَائِرُ الْعَرَبِ"[6]

ويربط الفخر الرازي بين الصفات الثلاث للقرية قائلا: "قَوْلُهُ: مُطْمَئِنَّةً قَالَ الْوَاحِدِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا قَارَّةٌ سَاكِنَةٌ فَأَهْلُهَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِانْتِقَالِ عَنْهَا لِخَوْفٍ أَوْ ضِيقٍ. أَقُولُ: إِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِهَا مُطْمَئِنَّةً أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِانْتِقَالِ عَنْهَا بِسَبَبِ الْخَوْفِ، فَهَذَا هُوَ مَعْنَى كَوْنِهَا آمِنَةً، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِانْتِقَالِ عَنْهَا بِسَبَبِ الضِّيقِ، فَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ التَّكْرَارُ. وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْعُقَلَاءَ قَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ: الْأَمْنُ

---

(1) السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت. 911ه): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ، مصر(د.ت) ج1، ص 437 .438 .

(2) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج20،ص280.

(3) يس بن زين الدين الحمصي: حاشيه يس بن زين الدين الحمصي علي حاشيه الفاكهي محيب الندا علي قطر الندي و بل الصدي، المطبعة الوهبية، مصر (1292ه) ج2، ص217.

(4) الفخر الرازي :مفاتيح الغيب، ج20،ص280.

(5) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص305.

(6) البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص100.

وَالصِّحَّةُ والْكِفَايَةُ. قَوْلُهُ: آمِنَةً إِشَارَةٌ إِلَى الْأَمْنِ، وَقَوْلُهُ: مُطْمَئِنَّةً إِشَارَةٌ إِلَى الصِّحَّةِ، لِأَنَّ هَوَاءَ ذَلِكَ الْبَلَدِ لَمَّا كَانَ مُلَائِمًا لِأَمْزِجَتِهِمُ اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ وَاسْتَقَرُّوا فِيهِ." [1]

أما عن السمة الثالثة للقرية مضرب المثل وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، فيُلاحَظ فيها عدة أمور:

- أنها متعلقة بما سبقها من صفتي الأمن والطمأنينة.
- أنها جملة فعلية فعلها مضارع.
- أنها من الجمل الفعلية الممتدة، حيث تضمنت ما يتعلق بالفاعل، ومكان الفعل.[2]

وقد تصدرت الجملة الفعلية الفعل المضارع (يَأْتِيهَا) بما تحمله صيغته من دلالة التجدد والاستمرارية، فالأرزاق متجددة تبعا لتعاقب الأيام والفصول، وفي تخير هذا الفعل إبراز لمدى ما خصت به تلكم القرية من الترف والنعيم فالرزق يسعى لها ويأتيها، ولا تسعى هي إليه. ثم تأتي المفردة (رَغَدًا) لتقدم صورة حية لهذا الرزق كما وكيفا، فهو رزق وافر هنيء، كما بين صاحب التحرير والتنوير.[3]ولم تكتفِ الصورة بهذا البيان بل جاء شبه الجملة وبلا واسطة ليؤكد على التنوع فيما يصل للقرية من أرزاق، وهذا ما أفاده المجرور (كل) وما أضيف إليه (مَكَانٍ) الذي يدل على الشمول والاستغراق.[4] يقول البغوي: "يُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ."[5] ويقول الماوردي مبيننا مصادر الرزق في القرية، و معللا التنوع والتعدد في موارده: "يعني منها بالزراعة, ومن غيرها بالتجارة, ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعم في النعمة عليها."[6]

إنَّ هذه الوفرة الاقتصادية ما كان لها أن تحدث في انعدام الأمن والطمأنينة، كما أن وجود هذه الوفرة ينعكس على حالة الأمن والطمأنينة وعلى هذا فإن العناصر الثلاثة كل منها يؤثر ويتأثر بالآخر.

وهكذا جاءت المفردة القرآنية في هذا النسيج الحكيم، فقدمت لنا من خلال الصفات الثلاث التي تميزت بها هذه القرية صورة واضحة لمعالمها لنا أن نتصورها كلا متكاملا من النواحي: الأمنية، السياسية والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية. كما أنها تبرز عظم النعم التي حظيت بها هذه القرية من المنعم الكريم جلَّ وعلا دون غيرها ممن يفتقد بعضها أو جلها.

المبحث الثالث: التوظيف القرآني للمفردة في تجسيد مشاهد العقاب الإلهي

انتقلت الآيات الكريمة إلى عرض مظاهر التحول الذي أصاب هذه القرية، ولكنْ قبل أن تشرع في بيان ذلك أشارت إلى علة ظهور هذا التحول في سمات تلكم القرية، وهي قوله (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ)، وهو في حد ذاته مظهر من مظاهر التحول الخطيرة الذي ألمَّ بالقرية، بعدما كانت عليه من طاعة وإيمان واستقرار... وإن كانت الآية لم تُشر صراحة إلى إيمان هذه القرية وإخباتها للمنعم الوهَّاب سبحانه.

فهل يكون الكفر هو المقابل للنعم التي تغمر تلكم القرية؟ أليس ذلكم منطقًا معكوسًا؟ أي إنسان أوتي شيئا من العقل يقول بهذا، أو يفعل هذا؟ أليس هذا هو السفه بعينه؟!

---

(1) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج20،ص280. وانظر: النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت 850ه): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت (1416ه)، ج 4، ص 312.

(2) د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة الفعلية: مكوناتها ـ أنواعها ـ تحليلها، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط2، (2002) ص 136.

(3) انظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص305.

(4) انظر مادة (ك ل ل) في: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: معجم ألفاظ القرآن الكريم.

(5) البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص100.

(6) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، ت. 450ه): تفسير الماوردي ـ النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت (د. ت.)، ج 3، ص 218

نَعمْ كان الكفر هو المقابل دون تروٍ أو انتظار إزاء ما تَنْعَم به القرية من أمن، واطمئنان، ووفرة وتنوع وهناء في الأرزاق، يفهم هذا من حرف العطف (الفاء) في بداية الجملة، يقول العلامة بن عاشور: "وَاقْتِرَانُ فِعْلِ «كَفَرَتْ» بِفَاءِ التَّعْقِيبِ بَعْدَ كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِاعْتِبَارِ حُصُولِ الْكُفْرِ عَقِبَ النِّعَمِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا حِينَ طَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكُفْرُ، وَذَلِكَ عِنْدَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ."[1] ويعلل لذلك البقاعي بقوله: " أن السعة تجر إلى البطر غالباً، ولذا نَبَّهّ تعالى لهم ذلك بالفاء فقال تعالى: {فكفرت}"[2]

وفي معنى الكفر هنا أشار الماوردي إلى وجهين يحتملهما النص الشريف: أحدهما: بترك شكره وطاعته. الثاني: بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات.[3]ويرى ابن عاشور أن: "مَعْنَى الْكُفْرِ بِأَنْعُمِ اللَّهِ: الْكُفْرُ بِالْمُنْعِمِ، لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوا الْمُنْعِمَ الْحَقَّ."[4]

و أرى أن المعاني السابقة كلها صالحة في هذا السياق ولا تعارض بينها، حيث لا يوجد في النص ما ينفي واحدًا منها.

وقد وقع فعل الكفر على أنعم الله، و توقف كثير من المفسرين عند جمع القلة (أَنْعُم) وكان تساؤلهم: أليس من الأنسب للسياق هنا أن يحلَّ جمع الكثرة مكان جمع القلة؟، وكان الفخر الرازي قد التفت إلى هذه النكتة فعرض لها قائلا :" قَالَ: فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ الْأَنْعُمُ جمع نعمة مثل أشد وشدة أقول هاهنا سُؤَالٌ: وَهُوَ أَنَّ الْأَنْعُمَ جَمْعُ قِلَّةٍ، فَكَانَ الْمَعْنَى: أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ كَفَرَتْ بِأَنْوَاعٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النِّعَمِ فَعَذَّبَهَا اللَّهُ، وَكَانَ اللَّائِقُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِنِعَمٍ عَظِيمَةٍ لِلَّهِ فَاسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ، فَمَا السَّبَبُ فِي ذِكْرِ جَمْعِ الْقِلَّةِ؟ وَالْجَوَابُ: الْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى يَعْنِي أَنَّ كُفْرَانَ النِّعَمِ الْقَلِيلَةِ لَمَّا أَوْجَبَ الْعَذَابَ فَكُفْرَانُ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ أَوْلَى بِإِيجَابِ الْعَذَابِ، وَهَذَا مِثْلُ أَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْأَمْنِ وَالطُّمْأَنِينَةِ وَالْخِصْبِ، ثُمَّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالنِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَفَرُوا بِهِ وَبَالَغُوا فِي إِيذَائِهِ فَلَا جَرَمَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءَ."[5]

وقد وافقه في هذا التعليل العلامة النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان.[6] غير أن للعلامة البقاعي رأيًا يختلف عن الرأيين السابقين، حيث يقول: "نبَّه سبحانه على سعة فضله بجمع القلة الدال على أن كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة إلى ما عنده سبحانه وتعالى فقال: {بأنعم الله} أي الذي له الكمال كله."[7]

أعقب ذلك تناول الآية الكريمة لمشاهد العقاب الإلهي لهذه القرية، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾،

وقد تقدمت فاء الترتيب والتعقيب الفعل الماضي (أَذَاقَ)، فالعقوبة تلك مرتبة على ما اقترفوه من جرم عظيم وهو كفرهم بأنعم الله.

والفعل (أَذَاقَ) فعل متعدٍ لمفعولين بالهمزة، وهو فعل من أفعال الحواس، لكنه وظف هنا توظيفًا مجازيًا إذ وقعت الإذاقة هنا على ما لا يذاق حقيقة، فـ (لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ) يُلمس أو يُحس، ولا يذاق إذ هو خارج المطعومات والمشروبات.

وقد أفرد المفسرون لهذا التصوير مساحة في مصنفاتهم، نعرض لأبرزها فيما يلي:

---

(1) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص306.

(2) البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت. 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 11، ص 264.

(3) الماوردي: تفسير الماوردي ـ النكت والعيون، ج 3، ص 218 .

(4) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص306.

(5) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج20،ص280.

(6) انظر: النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج 4،ص 312.

(7) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 11، ص 264.

ـ العلامة الطبري عرض للمقصود بهذا التعبير، قائلا:" فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أكلوا العلهز والجِيَف. قال أبو جعفر: والعلهز: الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم."[1]

ـ أما السمرقندي، فقال: " فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ أي: عاقبهم الله تعالى بالجوع سبع سنين. ومعنى اللباس هنا: سوء الحال، واصفرار الوجوه. وَالْخَوْفِ يعني: خوف العدو، وخوف سرايا النبي صلّى الله عليه وسلّم، بِما كانُوا يَصْنَعُونَ وذلك أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دعا عليهم فقال: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» فاستجاب الله دعاءه، فوقع القحط والجدوبة حتى اضطروا إلى أكل الميتة والكلاب. "[2]

ـ وممن حلل التعبير تحليلا لغويًا بيانيا العلامة النيسابوري في سفره الرائع (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) إذ قال: "عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والفرو، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم. نقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب: هل يذاق اللباس؟ قال ابن الأعرابي: لا بأس أيها النسناس هب أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا؟! كأنه طعن في الآية أن المناسب هو أن لو قيل: «فكساها الله لباس الجوع» أو «فأذاقها الله طعم الجوع» فردّ عليه ابن الأعرابي. والذي أجاب به علماء البيان أن هذا من تجريد الاستعارة، وذلك أنه استعار اللباس لما غشي الإنسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس، ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف، لأن إطلاق الذوق على إدراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره. فكانت الاستعارة مجردة. ولو قال: «فكساها» كانت مرشحة، وترشيح الاستعارة وإن كان مستحسنا من جهة المبالغة إلا أن للتجريد ترجيحا من حيث إنه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا. وقيل: إن أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرّف والاختبار فتقول: أناظر فلانا فأذوق ما عنده:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها

فمعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف البال. ففحوى الآية عرفها الله أثر لباس الجوع. وقيل: حمل اللباس على المماسة والتقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. قال ابن عباس: يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم بقتله والإخراج من مكة.[3]

لقد كان للمفردات القرآنية: (أذاق، ولباس، والجوع) في مواقعها دورٌ محوري في إبراز جماليات هذا التعبير، كما كانت العلامة الإعرابية في كلمة (الجوع) لاعبا رئيسيًا في إبراز جماليات الشق الثاني من هذا التعبير. وهو ما أثار هذه القضايا عند جمهور المفسرين، فلو جاء الفعل (كسا) لكان التعبير حقيقا، ولو استبدلت (لباس) بكلمة (طَعْم)، ولو نصبت كلمة الجوع بدلا من جرها ... لكان التعبير جاريًا على سبيل الحقيقة، ولفقد الكثير من رونقه وجمالياته.

وقد تنبه لذلك صاحب تفسير مفاتيح الغيب، فقال جوابا على من يقول أَنَّ اللِّبَاسَ لَا يُذَاقُ بَلْ يُلْبَسُ فَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: كَسَاهُمُ اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ، أَوْ يُقَالَ: فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ طَعْمَ الْجُوعِ. وَأَقُولُ جَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الوجه الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُمْ عِنْدَ الْجُوعِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَذُوقَ هُوَ الطعم فلما فَقَدُوا الطَّعَامَ صَارُوا كَأَنَّهُمْ يَذُوقُونَ الْجُوعَ. وَالثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا كَامِلًا فَصَارَ كَأَنَّهُ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، فَأَشْبَهَ اللِّبَاسَ.

([1]) الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان، ج 17، ص 311.

([2]) السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص 295.

(3) السمرقندي: بحر العلوم، ج4، ص312،313.

فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْجُوعِ حَالَةٌ تُشْبِهُ الْمَذُوقَ، وَحَالَةٌ تُشْبِهُ الْمَلْبُوسَ، فَاعْتَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى كِلَا الِاعْتِبَارَيْنِ، فَقَالَ: فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.

وَالوجه الثَّانِي: أَنَّ التَّقْدِيرَ أَنَّ اللَّهَ عَرَّفَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى عَبَّرَ عَنِ التَّعْرِيفِ بِلَفْظِ الْإِذَاقَةِ وَأَصْلُ الذَّوْقِ بِالْفَمِ، ثُمَّ قَدْ يُسْتَعَارُ فَيُوضَعُ مَوْضِعَ التَّعَرُّفِ وَهُوَ الِاخْتِبَارُ، تَقُولُ: نَاظِرْ فُلَانًا وَذُقْ مَا عِنْدَهُ.

وَلِبَاسُ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ هُوَ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الضُّمُورِ وَشُحُوبِ اللَّوْنِ وَنَهْكَةِ الْبَدَنِ وَتَغَيُّرِ الْحَالِ وَكُسُوفِ الْبَالِ فَكَمَا تَقُولُ: تَعَرَّفْتُ سُوءَ أَثَرِ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ عَلَى فُلَانٍ، كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: ذُقْتُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ عَلَى فُلَانٍ.

وَالوجه الثَّالِثُ: أَنْ يُحْمَلَ لَفْظُ اللُّبْسِ عَلَى الْمُمَاسَّةِ، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: فَأَذَاقَهَا اللَّهُ مَسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.[1]

ويعلق صاحب الظلال ـ يرحمه الله ـ على هذا التعبير، مبرزا الدور المحوري للمفردات: أذاق، لباس... , و آثراها النفسية فيقول: " يجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباسا ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقًا، لأن الذوق أعمق أثرا في الحس من مساس اللباس للجلد. وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس. لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون."[2]

ونختم التحليل اللغوي البلاغي لمفردات هذا التعبير بما خطه يراع ابن عاشور، عراضًا للمواءمة بين مكوناته إذ يقول: " وَلَمَّا كَانَ اللِّبَاسُ مُسْتَعَارًا لِإِحَاطَةِ مَا غَشِيَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَمُلَازَمَتِهِ أُرِيدَ إِفَادَةُ أَنَّ ذَلِكَ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُمْ وَمُسْتَقِرٌّ فِي إِدْرَاكِهِمِ اسْتِقْرَارَ الطَّعَامِ فِي الْبَطْنِ إِذْ يُذَاقُ فِي اللِّسَانِ وَالْحَلْقِ وَيُحَسُّ فِي الْجَوْفِ وَالْأَمْعَاءِ. فَاسْتُعِيرَ لَهُ فِعْلُ الْإِذَاقَةِ تَمْلِيحًا وَجَمْعًا بَيْنَ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، لِأَنَّ غَايَةَ الْقِرَى وَالْإِكْرَامِ أَنْ يُؤْدَبَ لِلضَّيْفِ وَيُخْلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً مِنْ إِزَارٍ وَبُرْدٍ، فَكَانَتِ اسْتِعَارَتَانِ تَهَكُّمِيَّتَانِ. فَحَصَلَ فِي الْآيَةِ اسْتِعَارَتَانِ: الْأُولَى: اسْتِعَارَةُ الْإِذَاقَةِ وَهِيَ تَبَعِيَّةٌ مُصَرِّحَةٌ. وَالثَّانِيَةُ: اللِّبَاسِ وَهِيَ أَصْلِيَّةٌ مُصَرِّحَةٌ.وَمِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ أَنْ جُعِلَتِ الثَّانِيَةُ مُتَفَرِّعَةً عَلَى الْأُولَى وَمُرَكَّبَةً عَلَيْهَا بِجَعْلِ لَفْظِهَا مَفْعُولًا لِلَفْظِ الْأُولَى. وَحَصَلَ بِذَلِكَ أَنَّ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ مُحِيطَانِ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ وَمُلَازِمَانِ لَهُمْ وَأَنَّهُمْ بَالِغَانِ مِنْهُمْ مَبْلَغًا أَلِيمًا."[3]

وهكذا حل عنصري الضنك: الجوع، والخوف بهذه القرية، عقابًا لها لينسف كل معالم الحياة الطيبة من: الأمن، والاطمئنان، والرزق الرغيد المتنوع. ليفتقد هؤلاء القوم هذه العناصر جميعا وتصبح أثرًا بعد عين.

ثم كان ختام الآية الكريمة بقوله تعالى (**بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**) تبيانًا لسبب ما حل بهؤلاء القوم من عقوبات، وهذا ما أفاده حرف الجر الذي تصدر جملة الصلة[4]؛ ليربط بين بِنَى الآية الكريمة. وقد فصل الخازن ـ يرحمه الله ـ ما عبَّر عنه الفعل المضارع يصنعون، والذي جعل القرية مضربًا للأمثال فقال: "وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي إرسال محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في إيذائه، وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وخروجه من بين أظهرهم."[5]

ويمكننا أن نقرأ في جملة هذا التذييل الدلالاتِ الآتية:

([1]) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج20،ص280.

([2]) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ط17(1412ه)، ج4، ص2199.

(3) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص307.

(1) المالقي (أحمد بن عبد النور المالقي، ت. 702ه): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص144.

(5) الخازن(علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي،ت 741ه): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1415ه)، ج3، ص103.

ـ التعبير بالفعل (يَصْنَعُونَ) يحمل معاني التعمد والقصد، فلم تكن أعمالهم حدثا عارضًا، أو طارئًا أو دون وعي.. وإنما كان عن قصد منهم ووعي بالفعل ومراحله المتعددة من التفكير إلي التنفيذ، ثم الإدراك والفهم لأبعاده ونتائجه.

ـ تخير الزمن المضارع قالبًا للفعل (يصنعون) جاء لاستحضار صور المشهد كاملة في ذهن المتلقي، كما يسهم في تجسد تلك المشاهد ـ إلى جانب المضارع ـ تقدم فعل الكينونة الماضي (ئى)، وإن كانت المفردات التي شكلت عناصر هذا المشهد لم يفصلها شيء عن خاتمة الآية.

ـ توظيف الاسم الموصول (ما) كعنصر إحالي يحيل القارئ إلى عنصر إشاري مما يحدث تماسكا دلاليا في بنية هذا النص الكريم،[1] وهي قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾.

ـ الإيجاز في التعبير عن معاني العدل الإلهي، فلا عقوبة إلا بارتكاب جرم.

المبحث الرابع: مظاهر التحول والتمرد في القرية: انتقل الحديث في الآية الثانية للحديث عن مظاهر التحول أو التمرد الذي طال تلك القرية؛ فاستحقت من أجله العذاب، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ وكانت الآية الأولي قد أشارت في منتصفها إلى كفر القرية بأنعم الله، ثم عادت الآية الثانية فذكرت أنهم كذبوا رسول الله، فهل هذا تفصيل بعد إجمال؟ أم أن التكذيب بالرسول جُرم ثان يضاف إلى الجرم الأول؟

يرى صاحب التحرير والتنوير أن القرآن " لَمَّا أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أُذِيقُوا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ، وَكَانَ إِنَّمَا ذَكَرَ مِنْ صُنْعِهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِأَنْعُمِ اللَّهِ، زِيدَ هُنَا أَنَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ عَامٌّ لِكُلِّ عَمَلٍ لَا يُرْضِي اللَّهَ غَيْرَ مَخْصُوصٍ بِكُفْرِهِمْ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَإِنَّ مِنْ أَشْنَعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ تَكْذِيبُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُ مِنْهُمْ. وَذَلِكَ أَظْهَرُ فِي مَعْنَى الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ."[2] ولا يختلف هذا الرأي عما ذهب إليه (أبوحيان) في تفسيره، حيث يرى أن من كُفْرَانِ نِعَمِ اللَّهِ في الآية الكريمة، تَكْذِيبُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[3]

وقد تصدرت واو الاستئناف الآية الكريمة ربطةً لها بما سبقها، فلا يزال الحديث عن قصة هذه القرية المعنية في المثل، وعن علة استحقاقهم العذاب. ثم جاءت الجملة مؤكدة " بِلَامِ الْقَسَمِ وَحَرْفِ التَّحْقِيقِ لِلِاهْتِمَامِ بِهَذَا الْخَبَرِ تَنْبِيهًا لِلسَّامِعِينَ الْمُعَرَّضِ بِهِمْ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْإِنْذَارِ."[4] وقد جاءت كلمة (رَسُولٌ) نكرة "للتعظيم، وإلى مكانته عند اللَّه، وعندهم لأمانته وعفته ولصدقه."[5]

وجاء بالجار والمجرور (مِنْهُمْ) ليقيم الحجة عليهم إذ إن هذا الرسول عَلَمٌ بينهم "عرفوا صدقه، وأمانته، إذا نشأ بينهم وليدا عفا لم يُزَنَّ بريبة، ولم يسجد لصنم حتى بُعث فيهم رسولا.. فليس غريبا عنهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨[6]

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في: د. سعيد بحيري: دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1(1426هـ -2005م) ص105. و عبد الحميد بوترعة: الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، في: مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ـ الجزائر، ع16، 2012م، ص96.

(2) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص308.

(3) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج6، ص605.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص 308.

(5) محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، ج8، ص4287.

(6) المرجع السابق ، ج8، ص4286، 4287 . وانظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج6، ص605. و الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص103.

ويضيف الماتريدي: " (رَسُولٌ مِنْهُمْ)، أي: من أنفسهم، من نسبهم وحسبهم، يعرفونه، كقوله: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ)..... أخبر أنه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم؛ لأنه إذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الآية من غير الآية، ولا الحجة من الشبهة؛ لأنه إذا خرج على غير المعتاد والطوق عرفوا أنه آية، وأنه حجة؛ إذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق، ويعرف ذلك من جوهرهم، وكذلك يعرف صدق من نشأ بين أظهرهم من كذبه، ولا يعرف إذا كان من غيرهم."[1]

فماذا عساه أن يكون ردة فعلهم إزاء ما يتقلبون فيه من نعم الكريم جلَّ وعزَّ ليلَ نهار؟ عبرت الجملة التالية (بي) عن هذا، فـ" بدل أن يعاجلوا بالإيمان عاجلوا بتكذيبه، فـ (الفاء) للترتيب والتعقيب، أي أن النتيجة جاءت على نقيض المقدمات؛ إذ أنه كان معروفا بالصدق والأمانة، فكان الواجب أن يبادروا بتصديقه، ولكنهم بادروا بتكذيبه، وعقب التكذيب أخذهم العذاب، إذ أخذوا في أسبابه، وهو التكذيب والصد عن سبيل اللَّه"[2]

وكان عاقبة هذا التكذيب ما عبرت عنه الجملة التالية (**فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ**)، وقد تصدرت الجملة أيضًا بالفاء بما يفيد أنه "عقب التكذيب أخذهم العذاب، إذ أخذوا في أسبابه، وهو التكذيب والصد عن سبيل اللَّه وإيذاء المؤمنين."[3]

ويمكننا أن نقرأ في هذه المفردة المنتقاة (**فَأَخَذَهُمُ**) عددًا من الدلالات الكمية والكيفية منها:

- أن هذا العذاب شاملا لكل أهل القرية، لم يستثنِ أحدًا ممن حَقَّ عليهم.
- أن في هذا الأخذ نوع من القسوة فلا لين ولا هوادة، خاصة أنهم ظالمون.
- في هذا الأخذ شيء من السرعة في التنفيذ، يعزز من هذه الدلالة وجود فاء الترتيب والتعقيب قبل الفعل.
- في هذا الأخذ نوع من القضاء التام على هؤلاء، فالأخذ هنا يعني: "الْإِهْلَاكُ" [4]

"وَتَعْرِيفُ الْعَذابُ لِلْجِنْسِ، أَيْ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ كَقَوْلِهِ: [وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نبيء إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] سُورَة الْأَعْرَاف: 95"[5]

وأرى أن تخير فاعلا للأخذ، هو إمعانٌ في تخويف أمثال أصحاب هذه القرية، وبيان للعاقبة السيئة التي تنتظرهم.

ويفصِّل الشيخ أبو زهرة هذا المآل قائلا: " والعذاب هو عذاب الدنيا بالتقتيل فيهم وهزيمتهم، وذهاب سيطرتهم، وقيام الحق رغم أنوفهم، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فبالعذاب الأليم، وإلقائهم في الجحيم." [6] "وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْعَذَابِ هُنَا هُوَ الْجُوعُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَقِيلَ: الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ."[7]

وختمت الآية الكريمة بالجملة الحالية:(**وَهُمْ ظَٰلِمُونَ**)، وفي هذه الجملة تأكيد على عدل الله عز وجل إذ وقع العذاب بهؤلاء الناس حال تلبسهم بالظلم، وفي الثبات والتأكيد الذي تحمله الجملة الاسمية من الدلالة ما يوجب إيقاع هذه العقوبة بهم، فهم ما ظلموا وانتهي الأمر، أو أن وَسمَهم بالظلم كان أمر عارضًا، لا.. إنهم بلغوا في هذه الجريمة مبلغًا أضحى منهم هذا الفعل ديدنهم وحالهم الثابتون عليه، ولا يبغون عنه تحويلا. "والْحَالُ أَنَّهُمْ فِي حَالِ أَخْذِ الْعَذَابِ لَهُمْ

---

(1) الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي،ت. 333ه): تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي، تحقيق: د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1426ه- 2005 م) ج6، ص585.

(2) محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، ج8، ص4287.

(3) المرج السابق ، نفس الصفحة.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص 308.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، ج8، ص4287.

(7) الشوكاني: فتح القدير، ج 3،ص 239.

ظالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِإِيقَاعِهَا فِي الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ وَلِغَيْرِهِمْ بِالْإِضْرَارِ بِهِمْ وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ تَمَامِ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ." [1]

يقول صاحب زهرة التفاسير: "(وَهُمْ ظَالِمُونَ)، الواو للحال، أي والحال أنهم ظالمون، فالعذاب نزل بهم، وهم أحق به، فهو بما كسبوه من تكذيب الحق، وتجاوزوا حد التكذيب إلى الظلم إذ صدوا عن سبيل اللَّه وفتنوا المؤمنين في إيمانهم وعذبوهم، وحاولوا أن يردوهم عن دينهم فارتدوا خاسئين."[2]

وما أروع ما سجله العلامة البقاعي في سفره القيم (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) حول التناسب بين مفردات هذه الآية الكريمة وتراكيبها! حيث يقول: " ما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولاً، حقق ذلك بقوله تعالى: {ولقد جاءهم} أي أهل هذه القرية {رسول منهم} كما وقع لكم {فكذبوه} كما فعلتم {فأخذهم العذاب} كما سمعتم، وإن كان المراد بها مكة فالمراد به الجوع الذي دعا عليهم به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لما قال «اللهم أعني بسبع كسبع يوسف»، وأما الخوف فما كان من جهاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم {وهم ظالمون*}، أي عريقون في وضع الأشياء في غير مواضعها، لأنهم استمروا على كفرهم مع الجوع، وسألوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الإغاثة فدعا لهم." [3]

بهذا عبرت المفردة القرآنية في سياقها عن مظاهر التحول والتمرد في هذه القرية من حياة طيبة إلى حياة ضنك، ثم كان الإهلاك الذي قطع دابرهم، وشددت الآية في ختامها على العدل في ايقاع هذه العقوبة التي ختمت به حياة هؤلاء القوم، كما بيَّن العدل سبحانه إذ يقول: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الزخرف: 76. وهكذا لعبت المفردة في آيتي المثل دورها بما حملته من معانٍ وما شعَّ منها من دلالات في بيان المظاهر الذي غَشِيت القرية من النعمة إلى النقمة، والطريق الذي سلكته لتحل بها صنوف العذاب المختلفة بما صنعوا وما اقترفوا من ظلم لأنفسهم ولغيرهم.

ونختم هنا بما يستفاد من قصة هذه القرية في هذا المثل وهو ما عبر عنه صاحب كتاب (الأمثال في القرآن) حيث يقول: "ينبثق من هذا المثل إنذار يشير إلى سوء المنقلب وتعاسة المرجع والعاقبة لا لقرية بعينها، ولا لفرد بذاته، بل لجميع الأفراد والجماعات والدول والمجتمعات، وإن كفرت وتولت وأعرضت وحاربت داعي الله ذهبت ريحها ونكصت على عقبها وحلت بها النقمة محل النعمة."[4]

النتائج

يمكن إجمال النتائج التي يسر الله تعالى لي الوصول إليها من خلال هذا البحث فيما يلي:

1 ـ لعبت المفردة القرآنية دورًا كبيرا في إبراز معالم القرية في سورة النحل من خلال مفردات رسمت معالم القرية الطائعة.

2 ـ جُسِّدت مشاهد العقاب الإلهي الذي حل بالقرية من خلال توظيف مفردات داخل تركيب مفعمة بالحيوية.

3 ـ عبرت المفردة القرآنية عن مظاهر التحول والتمرد في القرية؛ مما أعطي صورة واقعية عن استحقاقهم لإيقاع العقوبة بهم.

4 ـ كان للثراء اللغوي الذي تسلح به السادة المفسرون عند تفسيرهم لكتاب الله أثرٌ واضحٌ في تعدد المعاني واتساع دوائر الدلالات للألفاظ والتراكيب.

5 ـ سبق بعض علماء التفسير علماء تحليل الخطاب المحدثين عندما تحدثوا عن مراعاة أحوال المتكلمين، وأحوال السامعين عند وقوفهم عند بعض الآيات في المثل.

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، ج8، ص4287.

(3) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 11، ص 266.

(4) محمود بن الشريف: الأمثال في القرآن، دار عكاظ، جدة (1399هـ-1979م)، ص 115.114.

6 ـ ترك لنا السادة المفسرون، تراثا علميا ثريا، يشير إلى دقة النظر وسعة الفكر، وحصافة الرأي، وكانت للنظرات اللغوية الثاقبة لدور الكلمة داخل التراكيب القرآنية عميق الأثر في إنجاز هذا التراث العلمي الضخم.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

1 ـ أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1(1365 هـ - 1946 م).

2 ـ البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ت 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1 (1420هـ).

3 ـ البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت. 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

4 ـ البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي /بيروت، ط1 (1418 هـ) .

5 ـ الثعلبي(أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1 (1422 هـ - 2002 م).

6 ـ أبو حيان(أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي ، ت 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

7 ـ الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ت. 741هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1415 هـ).

8 ـ الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3(1420 هـ).

9 ـ الزمخشري جار الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت. 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3(1407 هـ).

10 . د. سعيد بحيري: دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1(1426هـ ـ2005م).

11 ـ السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت. 373هـ): بحر العلوم، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1413هـ/1993م).

12 ـ سميح عاطف الزين: الأمثال في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني/دار الكتاب المصري، بيروت/ القاهرة، ط 2(1421. 2000).

13 ـ سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ط 17(1412هـ).

14 ـ السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت. 911هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت) .

15 ـ الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت 1250هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق/بيروت، ط 1، (1414 هـ) .

16 ـ صديق القِنَّوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ت 1307هـ): فتحُ البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا/ بَيروت (1412 هـ - 1992 م).

17 ـ الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت. 1393هـ): التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 هـ).

18 ـ الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت 310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1(1420هـ ـ2000 م).

19 ـ ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1422 هـ).

20 ـ القاسمي(محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت1332ه): محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (1418ه).

21 ـ الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت. 333ه): تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي، تحقيق: د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1426ه ـ 2005 م).

22 ـ المالقي (أحمد بن عبد النور المالقي، ت. 702ه): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص154،153.

23 ـ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت 450ه): تفسير الماوردي ـ النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت.).

24 ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامة لمطابع الشؤون الأميرية، القاهرة (1989/1409).

25 ـ د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة الفعلية: مكوناتها ـ أنواعها ـ تحليلها، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط2.

26 ـ محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،(د.ت).

27 ـ محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية/ دار الحديث، القاهرة (1945).

28 ـ محمود بن الشريف: الأمثال في القرآن، دار عكاظ، جدة (1399هـ ـ1979م).

29 ـ مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ت 150ه): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، (1423 ه) .

30 ـ ابن منظور(محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ت711ه): لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط 3 (1414 ه) .

31 ـ النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت710ه): تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1(1419 هـ - 1998م).

32 ـ النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت 850ه): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت (1416ه).

33 ـ يس بن زين الدين الحمصي: حاشيه يس بن زين الدين الحمصي علي حاشيه الفاكهي محيب الندا علي قطر الندى و بل الصدي، المطبعة الوهبية، مصر (1292ه) .

ثانيًا: الدوريات:

34 ـ عبد الحميد بوترعة: الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، في: مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ـ الجزائر، ع16، (2012م).